اختيارات الإمام التنسي في الضَبط من خلال كتابه الطراز وأثرها على عمل المصاحف

Imam Tansi's Choices in the Adjustment through his book, "The Type and its Impact on the Work of The Qur'an"

الأستاذة: سيرين داده

جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

البريد الالكتروني Daddaserine@gmail.com

الملخَّص:

يعتبر الحافظ أبو عبد الله التَّنسي من علماء تلمسان البارزين، فقد أثرى المكتبة الإسلاميَّة عموماً بمؤلفاته النَّفيسة، ولعل أبرزها كتاب الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز، والذي أُعْتِمَد من قبل لجان المصاحف في ضبط الألفاظ القرآنية. لذا جاء هذا البحث ليبرز جانباً مشرقاً من سيرة عالمنا الجليل، ويبيِّن جملةً من اختياراته في علم الضَّبط، وأثرها على عمل المصاحف.

الاختيارات- الإمام أبو عبد الله التَّنسي- علم الضَّبط-الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز.

Abstract:

Al-Hafiz Abu Abdullah al-Tansi is considered one of the distinguished scholars of Tlemcen. He has particularly enriched the Islamic library with his valuable works, most notably "The Book of Accuracy of Kharraz's Accuracy Explanation", which has been adopted by the Qur'anic committees in the adjustment of the Qur'anic vocals. This study is based on a bright aspect of our estimated scholar, shows a number of choices in the science of accuracy, as well as its impact on the work of the Holy Qur'an.

Keywords: the selections / Imam Abu Abdullah Tansi / the science of adjustment / The Accuracy in explaining the adjustment of El-Kharre

مقدَّمة:

خصَّ الله أمَّة الإسلام بمعجزة خالدة وحجَّة واضحة؛ ألا وهي القرآن الكريم، الذي أعجز أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء على أن يأتوا بمثله. لذا اهتم به الأوَّلون، وسار على نهجهم المتأخِّرون ينهلون من علومه، ويستخرجون الجوهر المكنون من أغوارهِ، وبذلوا في ذلك النَّفس والنَّفيس خدمةً له، سواءٌ من ناحية التَّأليف، أو من ناحية التَّدريس والتَّعليم. ولم يتوان أيُّ قطرٍ من أقطار الأمَّة الجزائرية عن خدمة كتاب الله . عزَّ وجلَّ ، من ذلك تلمسان؛ الحاضرة الإسلامية العريقة التي أنجبت علماء صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبذلوا ما في وسعهم حفاظاً على كتاب ربِّنا قربةً وطاعة لهِ عزَّ وجلَّ . من بينهم العلاَّمة أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله التَّنَسي التِّلِمْساني، الذي صرف جلَّ وقته في التَّدريس والتَّصنيف في شتَّى الفنون. ولعلَّ أبرز مؤلف اشتهر به؛ كتاب "الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز"، الذي يُعدُّ من أفضل شروح نظم متن الذَّيل على مورد الظمآن للإمام الخرَّاز في علم الضَّبط القرآني وأنفعها؛ إذْ تميَّز بأسلوب راقٍ، ومنهج علميٍّ رصينٍ.

ممَّا سبق يمكننا طرح التَّساؤلات الآتية:

فيما تتمثَّل أهمية كتاب الطِّراز؟ ما المنهج الذي اتبعه الإمام التَّنسي في طرازه؟ ما هي اختياراته في علم الضَّبط؟ هل لهذه الاختيارات أثر على عمل المصاحف؟

وللإجابة على هذه التَّساؤلات جاء هذا البحث بعنوان:

"اختيارات الإمام التَّنسي في الضَّبط من خلال كتابه الطِّراز وأثرها على عمل المصاحف".

أهداف البحث: وتتمثل فيما يأتي:

1. إبراز جهود الحافظ التَّنسي وبيان فضله في خدمة كتاب الله ﷻ.
2. التَّعريف بكتاب الطِّراز وبيان منهج الإمام فيه.
3. إبراز اختيارات الإمام التَّنسي في علم الضَّبط.
4. بيان مدى أثر اختياراته على عمل المصاحف.

منهج البحث: اتَّبعت في بحثي هذا المنهج التَّاريخي وذلك أثناء ترجمة الحافظ التَّنسي، والمنهج الوصفي للتَّعريف بكتاب الطِّراز ومسلك الحافظ فيه، والمنهج الاستقرائي الجزئي في ذكر اختيارات الحافظ في علم الضَّبط.

عناصر البحث: يتكوَّن البحث من العناصر الرَّئيسة الآتية:

1. التَّعريف بالحافظ أبي عبد الله التَّنسي.
2. التَّعريف بكتاب الطِّراز مسلك الحافظ فيه.

3. اختيارات الحافظ التَّنسي وأثرها على عمل المصاحف.

أوَّلاً: ترجمة الحافظ أبي عبد الله التَّنسي[1]

إنَّ تاريخَ أمَّتنا الجزائرية تاريخٌ حافل بالعظماء والعلماء؛ ممَّن بنوا تاريخها العريق، ومجدها التَّليد، من هؤلاء الإمام الحافظ أبي عبد الله التَّنسي التِّلمساني، والذي سأحاول أن أترجم له بشيء من الاختصار قصد التَّعريف به، فأقول وعلى الله الاعتماد:

أ. اسمه ونسبه: هو الإمام، المحدِّث، الحافظ، المُقْرِئ، الفقيه، الأديب، المؤرِّخ، النَّاظم أبي عبد الله محمَّد بن عبد الجليل بن عبد الله التَّنَسي الأُمَوي التِّلمساني من علماء القرن التّاسع الهجري.

ب. مولدهُ ونشأتهُ: وُلِد الإمام أبي عبد الله بمدينة تَنَسْ، قريبا من مدينة الشَّلف، والَّتي تبعد عن العاصمة الجزائرية بحوالي: 204 كلم، والتي كانت حاضرةً ومركزاً علمياً وميناءً تجارياً هامًّا بالمغرب الأوسط في العهد الزّياني. إلاَّ أنَّ المصادر لم تضبط لنا تاريخ مولده سوى ما ذكرهالإمام شمس الدِّين السَّخاوي حيث قال: (بلغني في سنة ثلاث وتسعين بأنه حيٌّ مقيمٌ بتلمسان جاز السِّتين)[2]، ولما كان السَّخاوي قد فرغ من تبييض كتابه في ربيع الآخر من سنة (896هـ) كما هو معروف، وعليه يمكن القول – والله أعلم-أنَّه ولد بين سنوات 832 إلى 834 هـ، كما لم تُشِر المصادر إلى نشأته وتربيته، فالغموض يكتنف جوانب كثيرة من حياته[3].

ت. شيوخه[4]: لنبوغ العلماء أسباب وعوامل تساعدهم على ذلك، من بينها تتلمذهم على يد مشايخ أجلاَّء وعلماء أكابر، وهذا ما حصل بالفعل مع الحافظ التَّنسي حيث تلقى العلوم على يد والده العلامة أبو محمَّد عبد الله التَّنسي، ثم انتقل إلى تلمسان واستقرّ بها، وأخذ عن علمائها، من بينهم:

---

[1] ينظر ترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التَّاسع، السَّخاوي، (8/ 120)،
فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي الكتاني، تح: إحسان عباس، (1/ 267). الأعلام، خير الدين الزركلي، (6/ 238). معجم المؤلفين، رضا كحالة، (10/ 126، 222). نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، (1/ 572، 573). درة الحجال في أسماء الرِّجال، أحمد بن القاضي، (143/2). البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم، ص: 248.

[2] ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التَّاسع، السَّخاوي، (8/ 120).

[3] ينظر: الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز، التَّنسي، تح: أحمد شرشال، قسم الدِّراسة، ص: 125، 126.
الحافظ التّنسي بين المجد والتاريخ، راضية بن عربية، مداخلة في الملتقى الوطني الثاني حول: أعلام حوض الشَّلف، ص: 4.

[4] ينظر: نيل الابتهاج، التنبكتي، (1/ 572). الطراز، التنسي، قسم الدراسة، ص: 128، 129، 130.

1. الحفيد ابن مرزوق (ت: 842 هـ)، مفتي حاضرة تلمسان بوقته، كان من كبار علماء الغرب الإسلامي، عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب.
2. أبو الفضل محمَّد بن إبراهيم بن أبي زيد عبد الرَّحمن البرشكي التِّلمساني (ت: 845 هـ)، من أعلام تلمسان بوقته، كان مشاركاً بجميع الفنون العقلية والنّقلية.
3. أحمد بن زاغو التِّلمساني (ت: 845هـ)، من أكابر علماء تلمسان بوقته، برع في جميع الفنون، خاصَّة التَّفسير.
4. أبو عبد الله محمَّد بن النَّجار التِّلمساني (ت: 848 هـ)، من فقهاء تلمسان ومفسريها، كان مشاركاً في العديد من الفنون.
5. قاسم بن سعيد العقباني (ت: 854 هـ)، قاضي حاضرة تلمسان بوقته.
6. الحسن بن مخلوف أبركان (ت:857 هـ)، من كبار أولياء تلمسان وعلمائها.
7. أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد التَّازي (ت: سنة 866 هـ) نزيل وهران، كان من أئمَّة الفقه وعلوم القرآن والحديث.
8. محمَّد بن العباس التِّلمساني (ت: 871 هـ)، المالكي الشَّهير بابن العباس التِّلمساني، شيخ شيوخ وقته في تلمسان.

ث. تلاميذه[5]: من بركة علم الحافظ التَّنسي أن تخرَّج على يديه تلاميذٌ كُثر، كما حضر دروسه التي كان يُلْقيها في المدرسة اليعقوبيَّة وفي مساجد تلمسان المختلفة، عدد لا يُحصى من طلبة العلم، وفيما يأتي ذكر لأهمّ تلاميذه:

1. أبو جعفر أحمد بن علي بن داود البلوي (ت: 938 هـ).
2. محمَّد بن سعيد بن صعد الأنصاري التِّلمساني (ت: 901 هـ)
3. محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أبي يحي بن أحمد بن الخطيب شمس الدِّين بن مرزوق حفيد الحفيد (توفي بعد سنة: 920 هـ).
4. أبو عبد الله محمَّد بن العباس التِّلمساني (توفي بعد سنة 920 هـ).
5. أحمد بن محمَّد بن عثمان المناوي الشَّهير بابن الحاجّ الورنيدي التِّلمساني (توفي حوالي سنة: 930 هـ)
6. أحمد بن أحمد بن محمَّد البرنسي الفاسي الشَّهير بزروق، (ت: 899 هـ).
7. بلقاسم الزواوي (توفي بعد سنة 922 هـ).

[5] ينظر: نيل الابتهاج، التنبكتي، (1/ 573). البستان، ابن مريم، ص: 248. الطراز، التنسي، قسم الدراسة، ص: 130، 132.

8. عبد الله بن جلال الوعزاني.

ج. آثارهُ العلمية[6]: خلَّف الحافظ التَّنسي إرثاً علميًّا نفيسًا يدلُّ على شَأْوِ الرَّجل وعلوِّ كَعبه في العلم، ومن بين آثاره ما يأتي:

1. الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز، وهو محلُّ دراستنا في هذا البحث.
2. نظم الدُّر والعقيان، في بيان شرف بني زيان، وذكر ملوكهم الأعيان، ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزَّمان.
3. راح الأرواح، فيما قاله المولى أبو حموٌّ من الشِّعر وقيل فيه من الأمداح، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح.
4. فهرسته، وفيها ذكرٌ لشيوخه ومرويَّاته وأثباته.
5. جواب نازلة يهود تُوَات.
6. مُختصر التِّلمسانية.
7. كتاب في إسلام أبي طالب.

ح. مكانته العلميَّة وثناء العلماء عليه:

تبوَّأ الحافظ التَّنسي مكانة علميَّة مرموقةً بين علماء تلمسان، إذْ يعتبر عصره عصر الازدهار والرُّقي العلميّ في حاضرة تلمسان، فهو الحافظ لعلوم الحديث، الأديب الأريب، الشَّاعر والمؤرِّخ والفقيه، فقد جمع من أصناف العلوم ما شاء الله له أن يجمع حتى لُقِّب بالحافظ والإمام. ذُكِر عن البلوي أنَّه لمَّا خرج من تلمسان سُئل عن علمائها فقال: (العلم مع التَّنسي، والصَّلاح مع السَّنُوسي، والرِّياسة مع ابن زكري)[7].

وهذا الإمام السَّنوسي يصفه بقوله: (الشَّيخ الإمام، القُدوة علم الأعلام، الحافظ المحقِّق)[8].

ووصفه الونشريسي بقوله: (الفقيه الحافظ الجليل)، و(الفقيه، التَّاريخي، الحافظ، الأديب، الشَّاعر)[9].

و قال عنه السَّخاوي : (مُشَار إليه بالعلم، و له تصانيف)[10].

---

[6] ينظر: الضَّوء اللامع، السَّخاوي، (8/ 120). معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص: 85.

[7] البستان، ابن مريم، ص: 247.

[8] المعيار المعرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، (2/ 252، 253).

[9] وفيات الونشريسي، أحمد بن يحيى الونشريسي، ص: 111، 112.

[10] الضوء اللامع، السَّخاوي، (8/ 120).

خ. وفاته:

بعد حياة حافلة بالعطاء ونشرٍ للعلم والتَّأليف، توفي الحافظ التَّنسي في شهر جمادى الأولى من عام: 899 هـ، الموافق لـ: 1494 م، بمدينة تلمسان[11].

ثانياً: التَّعريف بكتاب الطِّراز في شرح ضبط الخَرَّاز

يعتبر كتاب "الطِّراز في شرح ضبط الخَّراز" من أشهر شروح الضَّبط للخرَّاز، وأكثرها انتشاراً شرقاً وغرباً، فقط حظي بالقَبُول واعتُمد من قبل اللِّجان العلميَّة لكتابة المصاحف. وفيما يأتي تعريفٌ موجزٌ لهذا الشَّرح الفريد:

أ. **اسم الكتاب:** صرَّح الحافظ التَّنسي في مقدمة الكتاب بعنوانه حيث قال: (وسمَّيته بـ:"الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز"). كما أشار إلى هذا العنوان كل من ترجم للحافظ. وأمَّا نسبته لصاحبه فلا شكَّ في ذلك، فقد أكدَّ محقِّق الطِّراز الشَّيخ أحمد شرشال صحَّة نسبته للحافظ التَّنسي لجملة أمور ذكرها أثناء تحقيقه للكتاب[12].

ب. **سبب تأليفه:** يعود سبب تأليف الكتاب إلى كون الحافظ قد اطَّلع على شروح من قبله لنظم الخرَّاز، فرآها بين مطوّلٍ مملٍ، وبين مختصرٍ مخلٍ، فعزم على وضع شرحٍ متوسطٍ يكون أنشط لقارئه، وأقرب فهماً لطالبه[13]، فكان بحقٍ كما وصفه طرازاً لامعاً اعتمدت عليه اللِّجان في ضبط المصاحف.

ت. **موضوع الكتاب:** يدور موضوع الكتاب حول شرح ضبط الإمام الخرَّاز[14] المسمَّى بـ: "عمدة البيان"، والذي ذيَّل به نظمه الشَّهير المسمَّى بـ: "مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن". فجاء هذا الكتاب شارحاً لنظم الضَّبط القرآني مفصِّلاً فيه ما أجمله النَّاظم، مبيناً فيه مذاهب العلماء واختلافاتهم.

ث. **مسلك الحافظ في كتابه[15]:** سنذكر مسلك الحافظ التَّنسي في شرحه على سبيل الاختصار، فأقول وبالله التَّوفيق:

1. جعل الحافظ لشرحه مقدِّمة ذاكراً فيها عنوان الكتاب ومبيِّناً فيها سبب تأليفه.

---

[11] معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص: 85.

[12] الطِّراز، التَّنسي، . المقدمة . ص: 6. وكذا قسم الدِّراسة، ص: 145.

[13] الطِّراز، التَّنسي، المقدِّمة، ص: 6.

[14] أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم بن عبد الله الأُمَويّ الشَّريشيّ، الشَّهير بالخَرَّاز، أخذ العلم عن ابن القصَّاب، وأخذ عنه ابن آجطَّا، له مؤلفات نفيسة منها: القصد النَّافع لبغية النَّاشئ والبارع على الدرر اللوامع، توفي سنة: 718 هـ ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، (2/ 208). سلوة الأنفاس، أبو عبد الله الكتاني، تح عبد الكامل الكتاني، (2/ 128).

[15] تكلم الشيخ شرشال على منهج الحافظ في شرحه بالتفصيل لمن أراد الإفادة فلينظر قسم الدِّراسة، ص: 148، 155.

2. بدأ بشرح وتفسير الألفاظ وتوضيحها وتبيّن المراد منها كعادة الشُّرَّاح في شرح المنظومات[16].

3. تعرَّض لشرح النَّظم من أوَّله إلى آخرهِ متتبعاً ترتيب النَّاظم في ذلك، ويختم شرح البيت بإعرابه[17].

4. استعماله أسلوب الحوار أثناء الشَّرح، خاصَّةً إذا تعرَّض للمسائل المختلف فيها، فهو الأسلوب الأمثل لتقريب الفهم وتبسيط الأفكار، مستعملاً لفظ: "فإن قيل"، ثم يردُّ على التَّساؤل بقوله: "قلتُ".

5. تمتَّع شرحه بالأسلوب الواضح، والأفكار المتسلسلة، والألفاظ السَّهلة البسيطة الواضحة، فلم تكن ألفاظه صعبة، ولا أسلوبه معقداً بحيث يملُّ منه القارئ.

6. يعلِّل الأحكام ويوجِّهها، ويلتمس العذر لغيره من أهل العلم، مع عدم خروجه عن مذاهب أهل الفنِّ ولم يشذَّ عليهم، إلاَّ نادراً.

7. اتَّبع النَّاظم فيما ذهب إليه من اختيارات وأراء في كثير من الأحيان، وإن سكت النَّاظم عن مسألة أو أغفلها أو لم يشرحها، نبَّه على ذلك وأشار إليها، وذلك بقوله دائماً بعد إتمام الشَّرح والإعراب بقوله: "تنبيه"، أو "تنبيهان"[18].

8. اعتمد على مصادر متنوِّعة من بينها أمَّهات كتب الضَّبط؛ كالمحكم للحافظ الدَّاني، وأصول الضَّبط لأبي داود، وغيرهما من كتب القدماء.

9. يعزو الأقوال إلى أصحابها في الغالب إلاَّ نادراً، فنجدهُ يقول: "قال بعضهم".

10. عدم تعرضه للمذاهب الضَّعيفة والواهية، وإنَّما التزم بما صحَّ عن أئمة الفنِّ وجهابذتهم.

11. التزم بشرطه الذي اشترطه في مقدمته، فجاء شرحه مفيداً متوسِّطاً، لا مطولاً مملاً، ولا مختصراً مخلاً.

12. الأدب الرَّفيع الذي تميَّز به مع من يخالفه الرَّأي، فإن وجد توجيها أو تعليلاً لا يتناسب ومذهبه فيقول: "فيه نظر"، أو "رأيٌ فاسد".

ج. **أهميَّة الشَّرح ومكانته:** تبوَّأ كتاب الطِّرازمكانة سامية بين شروح ضبط الخرَّاز، ويكفيه فخراً أنَّه معتمد من قبل اللِّجان العلميَّة لكتابة المصحف الشَّريف.

---

[16] ينظر أمثلة على ذلك: الطِّراز، النَّسي، ص: 165، 166.

[17] المرجع نفسه، ص: 200، 201.

[18] ينظر أمثلة على ذلك: المرجع السَّابق، ص: 198.

يقول المحقِق أحمد شرشال: (وممَّا يزيد في أهمية كتاب الطِّراز أنَّه تناول الضَّبط على قراءة نافع من الرِّوايتين قالون وورش، وبقية ضبط القُرَّاء العشرة في غالب حاله لا يخرج عن ضبط ورش وقالون، لأن الضَّبط قوانين وكليات لجميع القراءات. ولذلك اعتمده نساخ المصاحف على كل القراءات، واستفاد منه علماء الرَّسم والضَّبط واقتبسوا منه...)[19].

وقال عنه الدُّكتور حسن عزَّة: (ومن الحقِّ أنَّ هناك كتاباً نادراً في موضوع النَّقط قد وصل إلينا، هو كتاب " الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز لأبي عبد الله التِّنسي...وكتاب الطِّراز أكبر كتابٍ وضع في موضوع نقط المصاحف بعد كتاب "المحكم" لأبي عمرو الدَّاني، وفيه فوائد كثيرة تشرح ما جاء في "محكم" أبي عمرو وتُتِمّه وتزيدهُ بياناً)[20].

ثالثاً: اختيارات الحافظ التِّنسي في الضَّبط

1. تعريف علم الضَّبط:

لغةً: الضَّبط لزوم الشَّيء وحَبْسُهُ، وقيل الضَّبط لزوم شيءٍ لا يُفارقه فيكلِّ شيءٍ[21].

ويُرادفه الشَّكل، يقال: "شَكَلَ" الكتاب إذا قيده بالإعراب، ويقال أيضاً: "أشْكَلَ" الكتاب إذا أزال إشكاله والتباسه[22].

ويرادف الضَّبط النَّقْطَ أيضاً؛ يُقال نَقَطَ الحرف وعليه نَقْطاً وضع عليه نقطة أو أكثر لتميّزه عن غيره. والكتاب: شكله، ونقَّط الحروف: مبالغة في نقطها[23].

اصطلاحاً: الضَّبط عبارة عن علامات مخصوصة تلحق الحرف للدَّلالة على حركة مخصوصة، أو سكون، أو مدٍّ، أو شدٍّ، أو نحو ذلك[24].

تعريف علم الضَّبط: هو علمٌ يُعرف به ما يدلُّ على عوارض الحروف، وهي العلامات الدَّالة على تلك العوارض، من حيث وضعها، وتركها، وكيفيتها ومحلِّها ولونها[25].

2. **تعريف الاختيار:**

---

[19] الطراز، التِّنسي، قسم الدِّراسة، ص: 161.

[20] المحكم، الحافظ الدَّاني، تح: عزَّة حسن . مقدمة الكتاب ، ص:20، 35.

[21] لسان العرب، ابن منظور، مادة: [ضبط]، (28/ 2549).

[22] مختار الصحاح، محمَّد بن أبي بكر الرازي، ص: 168.

[23] المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ص:947.

[24] سمير الطالبين، علي محمَّد الضباع، ص: 79.

[25] ينظر: دليل الحيران، المارغني، ص: 201. سمير الطالبين، علي محمَّد الضباع، ص: 86.

لغة: الاختياراتُ جمع اختيارٍ؛ فالخاءُ والياءُ والرَّاءُ أصله العَطْفُ والمَيْلُ، والاختيارُ هو الاصْطِفاءُ، والانتِقاءُ، والتَّفْضيلُ، يُقال خارَ الشَّيءُ: انتقاهُ، واصْطَفَاهُ[26].

فالمعنى اللُّغوي للاخْتيارِ هو: تفضيلُ وانتقاءُ واصطفاءُ أمرٍ على آخر.

اصطلاحاً: يُعرَّف الاختيار من النَّاحية الاصطلاحية بتعريفات متنوِّعة نذكر منها ما يأتي:

- ترجيح الشَّيء وتخصيصهوتقديمه على غيره[27].
- الميلُ إلى ما يُراد[28].

3. مختارات من اختيارات الحافظ التَّنسي في الضَّبط:

- **ضبط الهمز المُبدل:** من المعلوم أنَّ الهمز من أصعب الحروف، وقد عمد العرب تخفيف النُّطق به بإبداله أو تسهيله أو غيرهما. ولأهل الضَّبط علامة تدلُّ على ضبط الهمزة المسهَّلة وهي نقطة حمراء تُجعل مكان الهمزة المسهَّلة، ولكن وقع الخلاف في ضبط المبدلة[29]، قال التَّنسي رحمه الله: ((ومنها باب: ﴿يَشَآءُ إِلَىٰ﴾[البقرة:142] عند الجمهور،و﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ﴾[البقرة: 31]، و﴿عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ﴾[النور: 33]، عند من يبدلها ياء مكسورة، فالحكم جعل نقطة حمراء في موضع الهمزة المبدلة دلالة على البدل))[30].

وما جرى العمل الآن في المصاحف بمذهب الشَّيخين[31] والإمام التَّنَسي؛ حيث أخذ باختيارهما، وهو نقط الهمزة المبدلة حرفاً متحرِّكاً في نحو:﴿ مُّؤَجَّلٗاۗ ﴾[آل عمران: 145][32].

- **الخلف في ضبط ياء**﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[البقرة:73].

---

[26] ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: [خير]، (2/ 232). تاج العروس، الزبيدي، (1/ 241).

[27] كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، (1/ 119).

[28] الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري، ص: 69.

[29] بيت: 830، ص: 67.ينظر: المحكم، الدّاني، ص: 117. الدُّرة الجلية، ميمون الفخار،

[30] الطِّراز في ضبط الخرَّاز، ص: 165

[31] يقصد بالشَّيخين؛ الحافظ الدَّاني وتلميذه أبي داود.

[32] في هذا المثال يظهر اختيار الحافظ التَّنسي وفي الهمزة المسهَّلة أيضاً، وأمَّا في المثالين الآخرين فالمقدم عند ورش إبدال الهمزة حرف مدّ لذا لم يكن الضبط كما قال. ينظر: فيض الآلاء في الأوجه المقدمة لورش في الأداء، علي بن محمَّد النَّحاس، ص: 9.

- اختلف أهل الفنّ في ضبط الياءالثَّانية عند قوله تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[البقرة: 73]،بين إلحاق الياء وعدمها. قال الإمام التَّنَسي رحمه الله : ‹‹فإن جاء بعده سكون . أي حرف المدّ[33]. نحو:﴿يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[الحج: 06]،كان ساقطاً في الوصل لفظاً، فلا يلحق لإجماعهم على أنَّ النَّقط مبني على الوصل، ولا يلتفت إلى من زعم أنَّه يلحق، إذا لم يقل به أحد من الأئمة القدماء››[34].

والمشهور وما في المصاحف بعد تتبُّعها هو عدم إلحاق الياء الثَّانية السَّاكنة عند قوله تعالى:﴿يُحۡيِ ٱللَّهُ ﴾، وهذا موافق لما ذهب إليه الحافظ التَّنسي.

- **محلُّ الحركة من الشَّد في الحرف**

اختلف أهل الفنّ هل يُجمع بين الشَّكل والشَّد في الحرف، إلاَّ أنَّ عمل المصاحف استقر على اجتماعهما، غير أنَّ القدماء لم يعينوا محلَّ الحركة من الشَّد.

يقول الحافظ التَّنسي: (لم يتكلَّم النَّاظم ولا غيرهُ من القُدماء على محلّ الحركة من الشَّدّ... والظَّاهر أن يكون الشَّدُ هو الذي يلي الحرف المشدَّد مباشرة من أي جهة كان قياساً على ما قيل فيما إذا كان الشَّدُّ بالشّين)[35].

وما في مصاحفنا اليوم هو ما قاله الحافظ التَّنسي من كون الشَّد يلي الحرف مباشرة.

- **إلحاق حروف المدّ المحذوفة لوضع عليها علامة المطّ**

إذا كان حرف المدّ محذوفاً سواءٌ في كلمة أو كلمتين، فإنَّ أهل الضَّبط يلحقون حرف المدّ بالحمراء ويضعون عليه علامة المطّ، نحو:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾[البقرة: 26]، ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾[الروم: 13]. هذا إذا كان سبب المدّ همز، ولم يتكلَّموا عمَّا إذا كان سبب المدّ سكون. قال الحافظ التَّنسي: (واعلم أنَّ كل من تكلَّم على هذه المسألة فإنَّما يمثِّلها بما كان السَّبب فيه همزاً كما مثَّلنا، والظَّاهر أنَّ ما

[33] حرف المد يقصد به الياء الثانية السَّاكنة.

[34] الطراز في شرح ضبط الخرَّاز، ص: 135، 136

[35] المرجع نفسه، ص: 106.

كان السَّبب فيه السُّكون كذلك نحو:﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾[الصافات:1]، ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾[الأنعام: 80]، عند من حذفها)[36].

والعمل في المصاحف اليوم على ما قاله الحافظ التَّنسي.

- **وضع علامة المطِّ على حروف التَّهجي:**

لم يرد عن القدماء إلحاق حرف المد إلى حروف التَّهجي في فواتح السُّور، لكونها مرسومة على المعنى لا على اللَّفظ ولم يحذف منها شيء ألبتة. ولكنَّ المتأخرون اختلفوا في ذلك فمنهم من قال لا يوضع لعدم حرفه، ومنهم من قال يوضع مراعاةً للفظ وانعدام الحرف لا عبرة به. والقول الأوَّل هو الذي اختاره التَّنسي لأنَّ الأئمة المقتدى بهم لم يُعرجوا عليه بوجه؛ أي على جعل المطِّ في الفواتح، لأنَّه لو كان يفتقر إلى المدِّ لتكلموا عليه بدليل أنهم تكلَّموا على النَّقط[37].

وما عليه العمل في المصاحف اليوم هو جعل علامة المطِّ على حروف التَّهجي في فواتح السُّور، نحو:﴿قٓۚ﴾[ق: 1]،﴿الٓمٓ﴾[البقرة: 1]، وهذا ما اختاره ابن القاضي والمارغيني وغيرهما[38]، على خلاف ما ذهب إليه الحافظ التَّنسي.

- **ضبط فواتح السُّور حال الإظهار والإخفاء والإدغام الخالص والنَّاقص**

حكم فواتح السُّور حال الإظهار والإدغام والإخفاء الضَّبط، وذلك بأن يُحرَّك الحرف الذي بعدها بحركته، ولا يُشَدُّ إذْ لا موجب لشدِّه سواء كان ما بعدها من هذه الحروف نحو:﴿الٓرۚ تِلۡكَ﴾[الحجر: 1] فإنَّك تحرِّك اللام والرَّاء ولا تشددهما لإظهار فاء وميم لام، أو كان ما بعدها من غير هذه الحروف نحو: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[البقرة: 1] ﴿حمٓ تَنزِيلُ﴾[الجاثية: 1] فإنَّك تحرِّك الذَّال من (ذلك) والتَّاء من تنزيل ولا تشددهما.

[36] المرجع نفسه، ص: 120، 121.

[37] المرجع السَّابق، ص: 123، 124.

[38] ينظر: بيان الخلاف والتشهير والاستحسان، ابن القاضي، ص: 32. دليل الحيران، المارغيني، ص: 319.

والحال أيضاً مع الإخفاء فالحكم فيه كالإظهار سواء. وأمَّا الإدغام الخالص فالحكم فيه تشديد ما بعده في نحو:﴿طسّمّ ﴾[القصص: 1]، والإدغام النَّاقص في نون﴿يسّ﴾[يس: 1]، فالحكم فيه تعرية ما بعده من الشَّدِّ على المختار، ويجوز شدُّه على مذهب النُّحاة.

قال الحافظ التَّنسي بعدما شرح هذه القواعد: (...هذا مقتضى القواعد وإن لم ينصوا عليه والله أعلم)[39]. وما في مصاحف المغاربة اليوم هو ضبط فواتح السُّور في الحالة السَّابقة على وفق ما ذكر الحافظ التَّنسي، وأما مصاحف المشارقة فإنهم لا يضبطون فواتح السُّور بالكلِّية.

- **ضبط الهمز المبدل المدغم في نحو:**﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ ﴾[التوبة: 37]عند الإمام ورش،﴿لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيِّ ﴾[الأحزاب: 50، 53] **عند الإمام قالون:**

ممَّا يعلم أنَّ الهمز المبدل حرفاً محركاً يضبط، وأمَّا المبدلة حرفاً مدٍّ فلا يضبط، وأمَّا ما وقع في المواضع السَّابقة من إبدال الهمزة مع الإدغام، فهل تُضْبط الهمزة المبدلة في هذه الحال أم لا؟

عقَّب الحافظ التَّنسي على النَّاظم لمَّا أطلق الحكم على الهمز المبدل حرفاً متحركاً، فقال: (أطلق النَّاظم في قوله: "أو بالبدلِ إذا تحرَّك"، ولا بُدَّ من تقييد، إذْ ما يؤدي الإبدال فيه إلى الإدغام ليس حكمه ذلك . معنى تضبط؛ أي يجعل مكان الهمز نقطة حمراء .، بل لا تجعل فيه نقطة أصلاً على قولٍ عندهُ، وهذا وإن لم ينصُّوا عليه، فهو مأخوذٌ ممَّا لهم فيه ضبط ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:61]، على قراءة التَّشديد، إذْ لم يذكر أحد فيه جعل النُّقطة الدَّالة على الهمزة تحت الياء، والله أعلم[40].

وعمل المصاحف اليوم على ما ذهب إليه الحافظ التَّنسي، كما في مصحف الجماهرية برواية الإمام قالون، ومصاحف المغاربة برواية الإمام ورش، من عدم ضبط الهمزة المبدلة في حال الإدغام. وقد استعمل الحافظ هنا القياس لعدم وجود نصٍّ عليه.

- **ضبط ألفات** ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾[البقرة: 72]

[39] الطراز في شرح ضبط الخرَّاز، ص: 146، 147، 148، 149.

[40] الطراز في شرح ضبط الخرَّاز، ص: 166، 167.

نبَّه النَّاظم الخرَّاز على أن تلحق الألف التي بعد الدَّال في:﴿فَٱدَّرَّٰٔتُمۡ﴾وكذا الألف التي بعد الرَّاء . ولكن عقَّب الحافظ التَّنسي على كلام النَّاظم بقوله: (والقياس في الثَّانية أن لا تلحق ويكتفي بالهمزة عند الجمهور في غيره ممَّا همزته ساكنة مفتوح ما قبلها، وذلك: ﴿ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ﴾[النساء: 103]، ﴿ٱمۡتَلَأۡتِ﴾[ق: 30]، إذا قلنا بحذف صورة الهمزة[41]، فالمختار أن لا تلحق صورتها اكتفاء بالهمزة[42].

وما في المصاحف اليوم هو إلحاق الألف الثَّانية التي هي صورة للهمزة، بخلاف ما صرَّح به الحافظ التَّنسي، وغيرهُ[43].

خاتمة: وفي ختام هذا البحث نذكر أهم النَّتائج المتوصَّل إليها على النَّحو الآتي:

1. الحافظ التَّنسي من الأعلام البارزين الذين استوطنوا تلمسان، وأقاموا بها.
2. المكانة العلميَّة المرموقة التي حظي بها الحافظ التَّنسي؛ إذْ يعتبر من الأعلام الذين كرَّسوا جهدهم في خدمة العلم تدريساً وتأليفاً.
3. تنوُّع مؤلفات الحافظ؛ إذْ نراه ألَّف في علوم مختلفة وفنون شتَّى، ممَّا ينبئُ عن عُلُوِّ كعبه في العلم.
4. من الآثار العلمية البارزة للحافظ التَّنسي؛ كتاب الطِّراز في شرح ضبط الخَرَّاز الذي يُعد مفخرة للمكتبة الإسلامية، والذي شرح فيه منظومة عمدة البيان في ضبط القرآن للإمام الخرَّاز.
5. تميَّز كتاب الطِّراز عن باقي شروح الخرَّاز بكونه أفضل الشُّروح، فلا هو بالمطوَّل المُملِّ، ولا بالمختصر المُخلِ.
6. المنهج العلمي الرَّصين الذي اتَّبعه الحافظ في شرحه، إذْ تميَّز بالأسلوب العلمي غير المعقد، وبالألفاظ السَّهلة والفكرة الواضحة، مع مناقشة الأراء المختلفة بأسلوب علميٍّ راقٍ دون تعصُّبٍ أو تشدُّد.
7. اعتماد لجان المصاحف كتاب الطِّراز في ضبط ألفاظ القرآن الكريم.
8. اختيارات الحافظ التَّنسي في علم الضبط كانت مبنيَّة على أسس علمية، كالأخذ بأقوال أهل الفنِّ كالحافظ الدَّاني، وتلميذهِ أبي داود، أو القياس.

---

[41] ينظر: مختصر التبيين، أبو داود، تح: أحمد شرشال، (1/ 163).

[42] الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز، ص: 303، 304.

[43] وممن قال به أيضا خلف بن أحمد القيسي، ينظر: الطرِّاز، التَّنسي، حاشية رقم: 7، ص: 304.

9. اختيارات الحافظ التي أوردتها في هذا البحث ما هي إلاَّ نماذج فقط اخترتها من شرحه، وإلاَّ فالكتاب موسوعة علمية أكبر من أحصر اختياراته في هذا البحث القصير، وقد أُعْتُمِدَت هذه الاختيارات في ضبط المصاحف في كثير من الأحيان، عدا بعضها.

هذا والله تعالى أعلم ونسبة العلم إليه أسلم، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من خطإٍ فمن نفسي والشَّيطان، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً، والحمد لله ربِّ العالمين.